يهدد بفقدان الموقع والاوراق بلا مقابل.

ويضيف ميشال اعتبارين آخرين يفسّران، الى حد ما، عدم استطاعة م.ت.ف. تحويل المكاسب الدبلوماسية الى مكاسب على الارض ـ حسب تعريفه. يتمثل الاول في موقف الدول العربية تجاه م.ت.ف. فقد أيدت حكومات عربيـة عدة المنظمة بالوسائل المادية والسياسية بعد العام ١٩٦٧، لكنها امتنعت عن تقديم أشكال أهم من الدعم. كما أدت النزاعات الداخلية العربية الى تقويض حرية عمل الحركة الفلسطينية وأضعفت الضغط المنصبّ على اسرائيل وحلفائها باتجاه ارغامها على العدول عن موقفها المعادي المتصلب من الحقوق الفلسطينية. بل وربما يصح الاعتقاد بأن بعض الدول العربية لا يريد ظهور دولة فلسطينية مستقلة أصلاً. اما الاعتبار الثاني فهو، في رأي المؤلف، رفض م.ت.ف. ان تعترف، علناً وصراحة، باسرائيل، وان توقف الكفاح المسلح، وان تتنازل، نهائياً، عن الهدف الاعلى، ألا وهو اقامة الدولة الفلسطينية على كامل التراب الوطني. وهو يرى ان استعداد م.ت.ف. لقبول تسوية سلمية رافقه، دوماً، تردد شديد تجاه القبول بدولة أصغر في الضفة والقطاع، كحل دائم.

الى هنا، تبرز نقاط اختلاف عدة سوف يطرحها القارىء العربي، او الفلسطيني؛ لكن الاعتراض الأهم يكمن، في الواقع، في الرد على استنتاج المؤلف: فميشال يؤكد ان الاعتبارين السابقين ربما يفسّران عجز م.ت.ف. في الحصول على دولة، او قطعة أرض، لكنهما لا يفسران استمرار المنظمة في السلوك ذاته، على الرغم من هذا العجـز. ويعتقد بأنه في امكان م.ت.ف. بقيادة ياسر عرفات، ان تحافظ على كيانها ووحدتها حتى لو اعترفت باسرائيـل مسبقاً ووافقت على فكرة الدولة المصغرة، وهي لو فعلت ذلك فلسوف تخلق هزة سياسية رئيسة في اسرائيل، وسوف تزداد مكانة م.ت.ف. في اوروبا الغربية والولايات المتحدة، مما يساعد على تأمين قيام الدولة المقترحة. لكن ميشال، في مقابل ذلك، يقرّ بأن موقف اسرائيل المتصلب قد أعاق تقدم موقف م.ت.ف. اكثر، حتى من الكوابح الداخلية الفلسطينية؛ ويستنتج، أيضاً، أن عرفات شعر بأن وجود استراتيجية دبلوماسية جريئة سوف تُفقد السيطرة في المجالين، الداخلي والخارجي، في آن، دون أن تؤدي النجاحات الدبلوماسية الى مكاسب جغرافية.

ينقسم هذا الكتـاب الى سبعـة فصول، يتبعها ملحقان حول البنية التنظيمية لـ م.ت.ف. (قبل، وبعد، انشقاق ١٩٨٣). ويبدأ بالفصل الأول تحت عنوان «مأزق المحرومين من إرثهم»، فيلخّص جوهره في تقويم مفاده ان الكثـير الكثـير في سيـاسـة م.ت.ف. يمكن تفسـيره من خلال الازمة الناشئة بين المقاربتين، الدوغمائية والبراغماتية، لحل القضية الفلسطينية، وهي أزمة بين من اعتبر «المقاومة المسلحة سبيلاً وحيداً شرعياً وفاعلاً لتحرير فلسطين وبين من أدرك ان الوقت قد حان للمبادرات السياسية إضافة الى السلاح». وفي دراسته لهذه الازمة التاريخية، يعود ميشال الى اصولها، ويبحث عن وقعها على السلوك السياسي لـ م.ت.ف.

يستعرض، بداية، الخلفيات السياسية ـ النفسية التي سبقت نشوء التنظيمات الفدائية المعاصرة، فيجمل انخراط الفلسطينيين في الاحزاب العربية ـ من يسارها الى يمينها ـ في انه عكس الرغبة في تجاوز التجزئة العربية للوصول الى كيان سياسي واحد. لكنه يلاحظ ان هذا الاندماج قد أدى الى تشتيت الوجود والجهد الفلسطينيين، مما أنجب ردة فعل عكسية تمثلت في البحث عن الهوية المتميزة. ويسجل ميشال عمق المرارة الفلسطينية تجاه المحيط العربي في بعض أقطار الهجرة، ويؤكد انها شملت، أيضاً، اللوم الموجه الى الجيل الفلسطيني القيادي السابق الذي جسّد أولويات وألعاب النظام الاقليمي العربي، مما ادى الى تهميش م.ت.ف. عربياً وتشجيع ظهور المنـظمـات العسكرية المستقلة، التي اخذت من الانتصار الجزائري مثلاً حياً على امكان تحقيق الاستقلال السياسي، بواسطة حرب العصابات. وهكذا تولدت فكرة مزدوجة: إمكانية وضرورة تنفيذ العمل المسلح، وصولاً الى الاهداف السياسية المرجوة؛ وضرورة تأمين استقلالية النشاط عن الارادة الحكومية العربية، صوناً للهوية وضماناً لفرص نجاح الكفاح العسكري.

يشكل ما سبق الارضية للنظرية العسكرية الفلسطينية الخاصة التي برزت في أعقاب حرب العام ١٩٦٧. فيشرح ميشـال مراحـل تطور وتغـير تلك النظرية ـ علماً بأنها تغيرت بالمحتوى اكثر منها بالاسم. وهو، على